قيم الإسلام في المحافظة على البيئة تأصيلا وتطبيقا

د. أحمد حمدي أحمد (*)

ملخص البحث

تعد الدراسات الأخلاقية في الإسلام من أهم الدراسات التي يعتمد عليها العالم بشكل كبير ومؤثر في حل ما يعترضه من مشكلات وإشكاليات، ومن أهم المشكلات المعاصرة مشكلات البيئة التي يقاسي ويلاتها العالم أجمع في حياتنا المعاصرة، وتأتي هذه الدراسة لتؤكد أهمية الدين في حل المشكلات العالمية، وأنه على الإنسان – الذي لم يعد حارسا أمينا على البيئة – أن يعود إلى القيم الإسلامية الراقية من أجل وضع الحلول الناجعة لمشكلاتها.

ولا شك أن الدولة المصرية الحديثة تسعى – وبقوة – للمشاركة في حل مشكلات البيئة، ومن بين المؤسسات المصرية التي عُنيت بهذه القضية مؤسسة الأزهر الشريف، وقد ظهر ذلك جليا في مؤتمر المُناخ الذي عقدته جامعة الأزهر الشريف ديسمبر ٢٠٢١م برعاية السيد الرئيس عبد الفتح السيسي، وقد جاءت كلمة فضيلة الإمام في هذا المؤتمر؛ لتؤكد أهمية الدين في التصدي للمخاطر المحدقة بالبيئة، وأن القانون الإلهي يحذر من فتنة لا يقتصر أثرها على مرتكبيها، وإنما تشمل عواقبها الإنسانية كلها، قال تعالى: وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [الأنفال: ٢٥].

Abstract

A Research on

Islamic Values in Preserving the Environment

Ethical studies in Islam are among the most important studies that contribute significantly and effectively to solve the problems of the world. One of the most important recent problems that the whole world suffers from in our contemporary life is the environmental problems. This study confirms the importance of religion in

(*) باحث بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.

solving global problems, and that the human being – who is no longer a faithful guardian of the environment – must return to the high Islamic values in order to develop effective solutions to their problems.

There is no doubt that the modern State of Egypt pursues – strenuously– to participate in solving the problems of the environment. Among the Egyptian institutions that paid special attention to this issue is Al-Azhar Al-Sharif. This was evident in the climate conference held by Al-Azhar University in December 2021 under the auspices of President Abdel Fattah Al-Sisi. The imam's speech in this conference stresses the importance of religion in confronting the dangers threatening the environment, and that the divine law warns of sedition whose impact is not limited to its perpetrators, but includes all its human consequences. Allah (God) [Glorified is He] said in the Glorious Qur'an: "And fear a trial which will not strike those who have wronged among you exclusively, and know that Allah is severe in penalty." (8: 25)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

وبعد

فإن الحديث عن قيم الإسلام في المحافظة على البيئة كانت – ولا تزال– موضع عناية كبيرة لدى المشتغلين بفلسفة الأخلاق في الدراسات الإسلامية، انطلاقا من أن البحث في فلسفة الأخلاق يُعنى بما ينبغي أن يكون عليه سلوك الناس عموما فيما يخص كل مناحي الحياة، ومنها البيئة التي خلقها الله تعالى للإنسان، وجعله خليفته فيها؛ ليحافظ عليها نظيفة نقية كما خلقها الله تعالى.

وأبادر فأقول: إن واقع البيئة العالمي – كما أكد مؤتمر الأمم المتحدة الأخير والذي عقد بمدينة غلاسكو بإسكتلندا في الفترة من الحادي والثلاثين من أكتوبر، وحتى الثاني عشر من نوفمبر لعام واحد وعشرين وألفين من الميلاد، وكذلك مؤتمر جامعة الأزهر الشريف بعنوان: تغير المُناخ: التحديات والمواجهة في الفترة من الثامن عشر إلى العشرين من ديسمبر لعام واحد وعشرين وألفين[١]– يؤكد على أن الإنسان لم يقم بعد بمسئولياته نحو بيئته، ولم يكن حارسا أمينا عليها، وصدق فينا قول الله تعالى: ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [الروم: ٤١].

---

[١] سيقف البحث في المبحث الثالث من هذه الدراسة حول دور الدولة المصرية الحديثة ومؤسسة الأزهر الشريف في المحافظة على البيئة بعرض موجز على قرص مدمج يأمل البحث أن تكون فكرته مقبولة بعون الله وتوفيقه؛ ليكون هناك تميز في عرض الفكرة على مؤتمر المؤسسة المصرية للاستثمار والابتكار والتنمية الصناعية المزمع انعقاده في الفترة من ٢–٦ أكتوبر ٢٠٢٢م برعاية مجمع البحوث الإسلامية، مع ملخص مكتوب عن هذه الجهود.

هذا وقد أثارت فكرة تلوث البيئة لدى العالم كله نوعا من الحراك، الذي لا يتوقف حول العناية بالبيئة، فَعُقدت المؤتمرات الكبرى، ومن أهمها مؤتمر ستوكهولم بالسويد عام ١٩٧٢، ومؤتمر ريودي جانيرو قمة الأرض بالبرازيل عام ١٩٩٢، ومؤتمر الأمم المتحدة أكتوبر – نوفمبر ٢٠٢١م، ومؤتمر جامعة الأزهر الشريف بعنوان "تغير المُناخ: التحديات والمواجهة" ديسمبر ٢٠٢١م ؛ لتبرز المخاطر المحدقة بالإنسان جراء تلويثه للبيئة، ومن ثم دعت إلى ضرورة المحافظة عليها من التلوث وسُنَّت القوانين تلو القوانين؛ بغية الحد من آثار التلوث الذي يعاني منه العالم كله من أقصاه إلى أقصاه، ومع ذلك لا تزال المخاطر البيئية المحيطة بالعالم في تزايد مستمر ومقلق؛ مما دفع البحث للوقوف على القيم الإسلامية ودورها في المحافظة على البيئة من منظور فلسفة الأخلاق في الإسلام، انطلاقا من حديث النبي ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[١]

وإذا كان الاهتمام العالمي بالبيئة هو وليد العقود الأخيرة، فإن رسالة السماء إلى الأرض كان لها قصب السبق الواقعي في معالجة قضايا البيئة منذ بدء الخليقة، وقد جاء الإسلام؛ ليؤكد وليثمن هذه المعالجة بقيم وتشريعات لم تصل إليها القوانين الحديثة بعد؛ وذلك لاحتواء تلك القيم والتشريعات على المسئولية الأخلاقية فيما يخص ضمير الإنسان المتعلق بالآخرة، فضلا عن المسئولية الدنيوية؛ فخلافة الإنسان في الأرض تعني أنه مكلف بالاستثمار فيها، والانتفاع بها، وهذا يقابله – بلا شك– واجب يقتضي المحافظة على ما فيها من موارد وخيرات.

تساؤلات الدراسة:

يطرح موضوع البحث تساؤلا رئيسا يتبعه عدد من التساؤلات الفرعية، أما التساؤل الرئيس فهو: ما القيم الإسلامية ودورها في المحافظة على البيئة؟ وأما التساؤلات الفرعية

---

[١] رواه البخاري في « الأدب المفرد » رقم (٢٧٣)، و ابن سعد في « الطبقات» (١ / ١٩٢)، وصححه الحاكم (٢ / ٦١٣)، وأحمد (٢ / ٣١٨).

فمن أهمها: ما مدى عناية الإسلام بالمحافظة على البيئة؟ وكيف لنا أن نغرس في نفوس البشرية جمعاء أن الإسلام له قدم السبق في المحافظة على البيئة؟ وكيف عالجت فلسفة الأخلاق في الإسلام مشكلات البيئة من منظور أخلاقي؟ وما هو دور الدولة المصرية الحديثة في المحافظة على البيئة؟ وما هو دور الأزهر الشريف كمؤسسة دينية كبرى في الدعوة إلى حماية البيئة من الأخطار المحدقة بها؟ وكيف يمكننا من خلال تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف أن نبصِّر الناس جميعا بمخاطر التلوث، وأهمية العناية ببيئتنا باعتبار أن المحافظة على البيئة عنوان للتحضر والرقي؟

أهمية البحث:

ترجع أهمية البحث إلى كشفه القيم الإسلامية ودورها في المحافظة على البيئة من منظور أخلاقي قابل للتطبيق. بعد التنظير والتأصيل لها من مصدري الوحي في الإسلام: القرآن والسنة الصحيحة عن رسولنا الكريم سيدنا محمد ﷺ.

منهج البحث:

اعتمد الباحث بشكل رئيس على المنهج التحليلي في كشف القيم الإسلامية في المحافظة على البيئة، كما ارتكز البحث على المنهج الاستنباطي، وذلك من خلال استنباط قيم الإسلام في المحافظة على البيئة من آيات القرآن الكريم وما صح من أحاديث عن رسول الإسلام سيدنا محمد ﷺ، وتبعا لما سبق يأتي المنهج النقدي الذي من خلاله أعرض قضايا البحث، وأقوم بتحليلها وتفسيرها وتقييمها، ثم إصدار الحكم عليها حيث لا أتردد في الإشارة إلى نقاط الضعف والقوة في أي فكرة من أفكار البحث، والإشارة إلى الخطأ والصواب في أي مسألة من مسائل الدراسة التي أقدم لها بحسب اعتقادي وفهمي.

خطة البحث:

ينقسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها تعريف عام بالبحث من خلال إبراز أهميته، والحديث عن تساؤلاته، وبيان منهج الدراسة وعرض لخطته.

متن الدراسة: وفيها تمهيد، وأربعة مباحث:

التمهيد: تمهيد في التعريف بمفردات البحث

المبحث الأول: حماية البيئة في الإسلام من صحيح الإيمان.

المبحث الثاني: القيم الإسلامية ودورها في المحافظة على البيئة.

المبحث الثالث: المخاطر التي تواجه البيئة ودور الإسلام في معالجتها.

المبحث الرابع: دور الدولة المصرية الحديثة والأزهر الشريف في المحافظة على البيئة.

الخاتمة: وبها عرض لأهم النتائج والتوصيات.

ولا أزعم أنني وفيت الموضوع حقه، فما هو إلا جهد المقل، ولا أدعي العصمة فيه، فما كان فيه من توفيق فمن الله، وما كان فيه من نقص أوعيب فمن نفسي، والله تعالى من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل.

تمهيد في التعريف بمفردات عنوان البحث

يقرر البحث ابتداء أن شريعة الإسلام تزخر بالقيم الإسلامية الراقية التي تدعو إلى المحافظة على البيئة، وفي هذا التمهيد أقف مع تعريف بمفردات عنوان البحث لغة واصطلاحا وخصوصا لفظتي القيم والبيئة؛ لأنهما اللفظتان الأكثر ترددا في ثنايا هذه الدراسة من ناحية، وليؤكد البحث على العلاقة الوثيقة بينهما من ناحية أخرى.

أولا: القيم:

- القيمة لغة: «القيم: مفردها القيمة، وأصله الواو؛ لأنه يقوم مقامة الشيء. والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم. تقول: تقاوموه فيما بينهم، وإذا انقاد الشيء واستمرت طريقته فقد استقام لوجهه»

«وقيمة الشيء في اللغة قدره، وقيمة المتاع ثمنه. يقال: قيمة المرء ما يحسنه، وما لفلان قيمة، أي ماله ثبات ودوام على الأمر»[١].

---

[١] لسان العرب لابن منظور، ، مادة قيم، ط دار المعارف.

- القيمة اصطلاحا:

ويطلق لفظ القيمة من الناحية الموضوعية على ما يتميز به الشيء من صفات تجعله مستحقًّا للتقدير كثيرًا أو قليلا، فإن كان مستحقًّا للتقدير بذاته كالحق والخير والجمال، كانت قيمته مطلقة، وإن كان مستحقًا للتقدير من أجل غرض معين كالوثائق التاريخية والوسائل التعليمية كانت قيمته إضافية.

ويطلق لفظ القيمة في علم الأخلاق على ما يدل عليه لفظ الخير، بحيث تكون قيمة الفعل تابعة لما يتضمنه من خيرية»[١].

وورد في موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية إن القيم: « هي الصفات المرغوبة اجتماعيًّا في مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي، وهي ذات تأثير في سلوك الناس وعلاقاتهم، كما أنها تملك الخصوصية في تأطير العالم من حيث روابطه الأساسية والأخلاقية والعلمية والاجتماعية وغيرها. وفي ظل غياب قيم الفضيلة ينقلب المجتمع إلى غابة ذات أحراش يضل ساكنها ويستوحش قاطنها، والقيم باختصار « تصور لما هو مرغوب فيه ضمنا أو صراحة يؤثر في اختيار أنماط الفعل ووسائله وأهدافه»[٢].

وفي المعجم الفلسفي المختصر ورد تعريف للقيم بأنها ظاهرة مادية أو روحية تلبي متطلبات معينة للإنسان أو الطبقة أو المجتمع، وتخدم مصالحه وأهدافه. فالبشر لا يدركون صفات الأشياء فحسب، بل ويقيمونها من زاوية منفعتها أو ضررها بالنسبة لحياتهم، وتتسم القيم في نهاية المطاف بطابع اجتماعي»[٣].

---

[١] المعجم الفلسفي، جمال صليبا، مادة قيم.

[٢] موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د.مرزوق بن صنيتان، دار رواح ٧١/١، ط١.

[٣] المعجم الفلسفي المختصر، مادة قيم.

القيمة من حق وخير وجمال:

أ) صفة عينية كامنة في طبيعة الأقوال (في المعرفة)، والأفعال (الأخلاق)، والأشياء (في الفنون). وما دامت كامنة في طبيعتها فهي ثابتة لا تتغير بتغير الظروف والملابسات، وبهذا قال المثاليون العقليون، وبهذا المعنى تطلب لذاتها.

ب) صفة يخلعها العقل على الأقوال والأفعال والأشياء، طبقا للظروف والملابسات، وبالتالي تختلف باختلاف من يصدر الحكم، وبهذا قال الطبيعيون من الحسيين والوضعيين والبرجماتية.

جـ) القيمة ضربان: ذاتية تخص الشيء لذاته. وتكون صفات كامنة فيه، وغير ذاتية خارجة عن طبيعة الشيء ولا تدخل في ماهيته[١]".

وبالوقوف تفصيلا حول مدلول القيم في اللغة والاصطلاح، يلمس الباحث الحاجة الماسة للتمسك بالقيم الإسلامية عموما، ومنها القيم الإسلامية في المحافظة على البيئة، حيث إنها تدعو في عمومها إلى ضبط سلوك الإنسان في تعامله مع البيئة بمعناها العام، الذي يشمل الكون كله، والذي خلقه الله تعالى مسخرا للإنسان، وأودعه أمانة في عنقه، لكن الإنسان غالبا ما يتهاون فيما حُمِّل من أمانات، فتكون النتائج السلبية لتهاونه، ومن ثم تأتي القيم الإسلامية ودورها في المحافظة على البيئة؛ لتنبه الإنسان إلى تقصيره، وتؤكد على أهمية الالتزام بمنهج الله تعالى في المحافظة على البيئة؛ وليضطلع بمسئولياته الكبرى تجاه بيئته الخاصة والعامة على حد سواء.

ثانيا: البيئة لغة:

هي حالة الاستقرار والنزول ، فيقول تبوأ مكانا أو منزلة ، بمعنى حل ونزل وأقام[٢]، ومن ذلك قول الله تعالى في القرآن الكريم: وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا

---

[١] المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، مادة قيم.

[٢] القاموس المحيط، للفيروزبادي، ، ط مؤسسة الرسالة ١٩٨٧، ص ٨٣.

حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ [يوسف:٥٦]، وقوله تعالى: وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الحشر:٩].

والأصل اللغوي لكلمة بيئة هو الجذر (ب و أ)، قال ابن منظور: بَوَأَ: باء إلى الشيء يبوء بوْءًا؛ أي رجع، ومنه فإن البيئة لغة هي النزول والحلول في المكان ، ويمكن أن تطلق مجازا على المكان الذي يتخذه الإنسان مستقرا لنزوله وحلوله ، أي على المنزل، الموطن، الموضع الذي يرجع إليه الإنسان فيتخذ فيه منزله وعيشه[١].

وفي الاصطلاح: تعددت معاني البيئة وتباينت مفاهيمها، وذلك حسب تخصص الباحث في العلوم الاجتماعية المختلفة، فالبيئة في مفهومها العام تعني الوسط أو الإطار الذي يعيش ويسكن فيه الإنسان، ويحصل منه على مقومات حياته، حيث إنّه يؤثر فيه ويتأثر به، كما تُعرف البيئة بأنّها مجموعة الظروف الطبيعية التي تحيط بالإنسان من ماء، وهواء، وأرض، ونباتات، وكائنات حية مختلفة، بما في ذلك المنشآت التي يقيمها الإنسان في محيطه[٢].

ويظهر للباحث المدقق العلاقة القوية بين تعريف القيم لغة واصطلاحا، وتعريف البيئة لغة واصطلاحا؛ حيث تحتاج البيئة إلى ضبط سلوكيات الإنسانية نحوها؛ مما يؤكد الحاجة للوقوف بشيء من التفصيل حول القيم الإسلامية ودورها في المحافظة على البيئة.

---

[١] لسان العرب، لابن منظور، جـ ٥، ط دار المعارف، بدون تاريخ، ص ٣٨٢.

[٢] الإعلام وقضايا البيئة، كرم علي حافظ، ط١، ص ٩،١٠.

المبحث الأول

حماية البيئة في الاسلام من صحيح الايمان

يستطيع البحث أن يقرر ابتداء سبق الإسلام وعنايته بالبيئة، باعتبار العلاقة الوثيقة بين الإنسان الذي خلقه الله تعالى لعبادته وعمارة الأرض وفق منهج السماء، والبيئة التي هي الحاضنة الكبرى لذلكم الإنسان، وتمثل البيئة – كما خلقها الله تعالى – من هذا المنطلق الأم الرؤوم والإنسان هو الابن الذي يجب أن تكون علاقته بأمه علاقة البر والإحسان انطلاقا من قول الله تعالى: وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ [لقمان:١٤].

فإذا التزم الإنسان منهج الله تعالى وكان بارا بالبيئة كبرِّهِ بأمِّه انصلح الحال وأصبحت البيئة نقية صالحة للحياة، وفيها يسعد الإنسان أيما سعادة، ما التزم بقيم الإسلام في المحافظة عليها، أما إذا خالف الإنسان منهج السماء وعق أمه(البيئة)، وذلك بعدم الالتزام بالقيم الأخلاقية الإسلامية في المحافظة عليها، ساء الحال، وأصبحت البيئة ملوثة غير صالحة للحياة، وتبعا لذلك تضطرب حياة البشرية جمعاء؛ ومن ثم تحتاج البشرية إلى الدستور الأخلاقي الإسلامي من أجل المحافظة على البيئة، وهذا هو هدف هذه الدراسة من منظور فلسفة الأخلاق في الإسلام.

وبناء على ما سبق يظهر للبحث حاجة البشرية إلى أن تتنبه إلى عظمة الدستور الأخلاقي الإسلامي في المحافظة على البيئة، حيث اعتبر الإسلام المحافظة على البيئة من صحيح الإيمان الذي هو بمثابة الأساس من البناء وهذا – لا شك – يدل دلالة قاطعة على عناية الإسلام وسبقه في العناية بالبيئة، والمحافظة عليها، وذلك حينما اعتبر الإسلام المحافظة على البيئة من صحيح الاعتقاد، وخلق من أخلاق الإسلام الذي به ينجو الإنسان في الدنيا والآخرة وهذه سمة تفرد بها الدستور الأخلاقي في الإسلام دون سائر الدساتير العالمية قديمها وحديثها، لا كما يفهم البعض أن الدين

سبب للتخلف والانحطاط، وهذا ما نبه إليه فضيلة الإمام الأكبر في كلمته بمؤتمر تغيير المُناخ الذي أقامته جامعة الأزهر الشريف في ديسمبر ٢٠٢١م، وهو ما سيقف البحث معه بشيء من التفصيل في المبحث الثالث من هذه الدراسة.

وإذا أراد البحث أن يدلل على صدق هذه القضية وملامستها للواقع – وتلك سمة أخرى من سمات الدستور الأخلاقي الإسلامي– نذكر في هذا المقام أن الغاية الكبرى من خلق الإنسان هي عبودية الله تعالى إلها واحدا لا شريك له مع تعميره للأرض وفق منهج السماء، يقول تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات:٥٦]، والعبودية تعني الطاعة، والطاعة تعني الالتزام بما أمر الله تعالى، واجتناب ما نهى الله تعالى عنه، وبما أن الله تعالى أمرنا بأن نحافظ على البيئة، فلا نلوثها، ولا نعتدي عليها كان ذلك من صحيح الإيمان والاعتقاد في نظر الإسلام.

لقد جعل الله – عزو وجل– الثواب في الآخرة قائما على الصلاح في الدنيا، والبعد عن الفساد في الأرض، وبيَّن أن ذلك من علامات الإيمان قال تعالى: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ [القصص:٨٣]. وقال تعالى: وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ [العنكبوت:٣٦].

وفي الحديث الصحيح عن رسول الإنسانية سيدنا محمد ﷺ ما يؤكد على أن المحافظة على البيئة من صحيح الإيمان، وسلامة الاعتقاد، حيث يقول النبي ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة: فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"[(١)] وفي ذلك دليل واضح على عناية الدستور

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: شعب الإيمان، (١/٦٣/ح٣٥)، وأخرجه البخاري في صحيحه مختصرًا ولفظه، « الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ» كتاب: الإيمان، باب: أمور الإيمان، (١/١١/ح٩).

الأخلاقي في الإسلام بالمحافظة على البيئة حينما اعتبر إماطة الأذى عن الطريق بالمفهوم العام شعبة من شعب الإيمان، التي تدل دلالة واضحة على سلامة المعتقد، وهذه قيمة إيجابية من قيم الإسلام في المحافظة على البيئة.

كذلك فإن هناك هديا نبويا آخر يدل على أن المحافظة على البيئة في الإسلام من صحيح الإيمان، وسلامة الاعتقاد حيث يقول النبي ﷺ: "الطهور شطر الإيمان.."[١] حيث يؤكد الحديث الشريف على أن الطهارة في الإسلام بالمفهوم العام في النفس والمكان والبيئة تساوي نصف الإيمان، وفي ذلك تنبيه وتأكيد على عناية الإسلام بالمحافظة على البيئة؛ لأن المحافظة عليها من صميم الإيمان وصحيح الاعتقاد الموصل بصاحبه –حال التمسك به– للنجاة في الدنيا والآخرة، وهذا هو ما دعت إليه شريعة الإسلام.

ويختم البحث الحديث عن العلاقة بين المحافظة على البيئة وسلامة المعتقد بحديث النبي ﷺ الذي يقول فيه: " لا إيمان لمن لا أمانة له "[٢]، وفيه تأكيد على أن إيمان العبد بالله يكون غير مكتمل؛ حينما يضيع الأمانة، والبيئة أمانة استأمننا الله عليها بأن جعلنا أمناء على محتوياتها، وتلك قيمة أخري من قيم الإسلام في المحافظة على البيئة، وهي قيمة الاستئمان، والتي سيقف البحث معها بشيء من التفصيل في موضعها من الدراسة.

---

[١] جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضوء، (١/٢٠٣/ح٢٢٣).

[٢] جزء من حديث أخرجه أحمد في مسنده (٢٠/٣٣/ ح ١٢٥٦٨)

المبحث الثاني

القيم الإسلامية ودورها في المحافظة على البيئة

.أولا: قيمة الاستخلاف

الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي اصطفاه الله تبارك وتعالى؛ ليكون خليفته، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في أشهر حوار بين الله تعالى والملائكة يقول تعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ [البقرة:٣٠]، وهذا يعني أن في ذلك تشريفا له من الله تعالى، كما أنه تكليف له من ناحية أخرى، وخلافة الله للإنسان على الأرض تقتضي المحافظة عليها باعتبار أن البيئة من مسئوليات الإنسان انطلاقا من قول النبي الكريم ﷺ: كلكم راع وكلم مسئول عن رعيته.."[١]

لقد وضح القرآن الكريم أن الإنسان يقع على عاتقه مسئولية استثمار الطبيعة، وحمايتها، والعناية بها، وصيانة عناصر الحياة فيها، وذلك من خلال المكانة التي بوأه الله إياها، وهي خلافته في أرضه. ولعل الحوار الذي كان من الله تعالى للملائكة عند خلق آدم، ما يدل على خطورة الأمانة التي تحملها الإنسان، بخصوص الحياة الأرضية، والمحافظة عليها[٢]

وهذه القيمة يؤدي التمسك بها إلى تعديل السلوكيات الخاطئة نحو البيئة، فالقيم تنظير للسلوك أو الأخلاق العملية في فلسفة الأخلاق الإسلامية، وبهذا الاعتبار يكون

---

[١] جزء من حديث متفق عليه، البخاري كتاب: الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن،(٢/٥/ح٨٩٣)، مسلم كتاب: الإمارة، باب: باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر،(٣/١٤٥٩/ح١٨٢٩).

[٢] النهج الإسلامي في حماية البيئة، د. محمد عبد محمود الصاحب، الجامعة الأردنية، مكتبة المهتدين الإسلامية، ص ٤٥٣.

السلوك مظهرا معبرا عن الخلق أو القيم أو مرآة لهما،[١] وهذا يعني أن القيم الإسلامية قابلة للتطبيق فيما يخص المحافظة على البيئة وغيرها من القضايا الأخرى.

وينبه البحث على أن الخلافة المذكورة في قوله تعالى: قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ [الأعراف:١٢٩] فيها اقتداء بالباري سبحانه على قدر طاقة البشر فيما يخص سياسة الإنسان نفسه، وسياسة غيره باستعمال مكارم الشريعة، والمقصود أن يبدأ الإنسان بإصلاح نفسه في تعديل سلوكياته فيما يخص المحافظة على البيئة على أنها إحدى مسئولياته، ومن ثم يصبح قادرا على تعديل سلوكيات الآخرين من باب أن فاقد الشيء لا يعطيه.[٢]

ولا يفوت البحث الإشارة إلى أن القيم الإسلامية عموما، ومنها القيم الإسلامية في المحافظة على البيئة قيم صالحة لأن يفهمها العالم أجمع، فهي قيم تتصف بصلاحيتها للبشرية جمعاء.

وقبل أن ينهي البحث الحديث عن قيمة الاستخلاف كقيمة إسلامية إيجابية في المحافظة على البيئة، أنبه إلى أن الكون كله مسخر للإنسان، ومن ذلك: تسخير ما في السماوات والأرض، وتسخير الشمس والقمر والنجوم، وتسخير البحار والأنهار، وتسخير الفلك في البحر، وتسخير الليل والنهار، وتسخير السحاب، وتسخير الأنعام والدواب. وهذا التسخير من الله للإنسان دليل دامغ على عناية الإسلام بتعمير الأرض، والمحافظة عليها، ومن ثم تكليف الإنسان –بحكم خلقه وطبيعته ومهامه– بتفعيل تلك

---

[١] انظر: مقومات الإسلام، فضيلة الإمام الأكبر أ د. أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف، ط مجلة الأزهر الشريف شوال ١٤٤٢هـ = يونيه ٢٠٢١م، ص ٢٥١.

[٢] انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني، تحقيق د. أبو اليزيد العجمي، ط١ دار الصحوة بالقاهرة ص ٩١ ، ٩٢.

القيمة على أرض الواقع، ودعوة البشرية جمعاء؛ ليتحملوا المسئولية تجاه الكون ومنه البيئة.

وفيما يخص تسخير السماوات والأرض وما فيهما؛ ما يدفع الإنسان إلى ضرورة التعامل الملائم مع عناصر الأرض، وفي ذلك دعوة إلى المحافظة على موارد البيئة التي –هي في الأصل– مسخرة للإنسان وأمانة في عنقه في ذات الوقت، وعلى الإنسان أن يتنبه إلى أن هذا التسخير من الله له؛ وهنا تقع المسئولية الأخلاقية على الإنسان في الدنيا من ناحية، وأهمية الاستعداد للحساب على تلك الأمانات أمام الله – تعالى– في الآخرة من ناحية أخرى.

ثانيا: قيمة الاستعمار

الاستعمار ابتداء يعني طلب الإعمار، لا احتلال أرض الغير –كما هو شائع – حيث إن الألف والسين والتاء تعني طلب الإعمار كما في الاستغفار الذي يعني طلب المغفرة من الله سبحانه وتعالى.

والاستعمار بالمعنى المشار إليه قيمة كبرى من القيم الإيجابية في المحافظة على البيئة، فطلب عمران البيئة يجب أن يكون مراعيا لأمر الله تعالى؛ لأن الإنسان أُنشيءَ من الأرض وأُمر بإعمارها قال تعالى: {وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ [هود:٦١]. ومعنى استعمركم فيها –كما أشار البحث – أي خلقكم لعمارتها بشتى أنواع الإعمار ما نعلمه وما لا نعلمه، شريطة أن يكون وفق منهج الله – تعالى – في المحافظة على البيئة بكل مفرداتها.

وفي الآية الكريمة ملمح مهم يؤكد البحث على بيانه، وهو أن الإنسان حينما يخالف منهج الله تعالى في المحافظة على البيئة والتعدي عليها بتلويثها، أو تشويهها، أو تخريبها، إنما ارتكب جرما كبيرا يستوجب أمرين: الاستغفار والتوبة إلى الله – تعالى –

وفي ذلك تحذير للإنسان من مخالفة أوامر الله في التعامل مع البيئة برفق ولين وبتحضر ورقي.

على أن الفعل المختص بالإنسان – خلق الإنسان – ثلاثة أشياء: منها عمارة الأرض المذكورة في قوله تعالى "واستعمركم فيها"، وذلك تحصيل ما به تزجيةُ المعاش لنفسه ولغيره[١]. ومن معاني تزجية النفس إصلاحها، واستقامتها على منهج الله تعالى، وهو قريب من التزكية الواردة في قوله تعالى: **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زكاها** وَقَدْ خابَ مَنْ دساها [الشمس:٩، ١٠].

وفي ذكر الله – تعالى – في الآية الكريمة – آية سورة هود – العمارة بعد الأمر بالعبادة قوة دافعة نحو استصلاح الأرض واستثمار مواردها، وفي ذكر النشأة من الأرض ما يشير إلى ضرورة الإحسان إليها عند عمارتها واستثمار ما هو مكنون فيها؛ بعدم الإفساد للبيئة، وعدم هدر الخيرات والثروات التي أودعها الله فيها، ووضع الأمور في نصابها، ذلك أن الإنسان خُلق منها، وبدنه نبت منها ورُكِّبَ من عناصرها، فهي أُمُّهُ التي يصدر منها ويعود إليها، فوجب عليه الإحسان إليها مدة عيشه عليها[٢].

وهذه القيمة من قيم الإسلام فيما يخص المحافظة على البيئة يؤدي التمسك بها، وتبصير الناس بأهميتها إلى وضع الآليات الحديثة حين نعمر البيئة ببناء المصانع – مثلا – وفق استراتيجيات مدروسة تجمع بين النفع للإنسان، وعدم الإضرار بالبيئة، التي يتوجب علينا إصلاحها وعدم الإفساد فيها بتلويثها بأي من الملوثات الضارة بالكون، ومنه البيئة التي نعيش عليها.

ثالثا: قيمة الاستئمان

الاستئمان ابتداء في دراستنا هذه يأتي من منطلق أن الله – تعالى – جعلنا أمناء على البيئة، وليس بمعنى طلب الأمان كما قد يتبادر إلى الذهن، ولقد أكد القرآن الكريم على ذلك

---

[١] السابق ص ٩٠

[٢] النهج الإسلامي في حماية البيئة، د. محمد عبد محمود الصاحب، مرجع سابق، ص ٤٥٨، ٤٥٩.

فورد ذكر الأمانة في القرآن عشر مرات بصور مختلفة بين الإفراد والجمع والاسم والفعل، تؤكد كلها على أهمية الأمانة، وضرورة أدائها منها قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ [الأنفال:٢٧]، وقوله تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا [الأحزاب:٧٢]، وقوله تعالى: **فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ** ۗ[البقرة:٢٨٣]، وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ [الأنفال:٢٧]، وهذه الآيات الكريمة تؤكد بما لا يدع مجالا للشك عناية الإسلام بأداء الأمانات، ومن أهم تلك الأمانات البيئة بما فيها ومن فيها.

وفي السنة النبوية تأكيد كذلك على خُلُق الأمانة عموما، وأهمية التمسك به؛ حفاظا على حقوق الناس في دنياهم، ومن هذه الحقوق المحافظة على البيئة؛ ليحيا الناس حياة طيبة، يذكر البحث هنا قول النبي ﷺ" المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم"[(١)]. وفي رواية أخرى: " المسلم من سلم الناس من لسانه ويده.....[(٢)]، وفي ذلك تأكيد على عناية السنة النبوية بقضايا الإنسانية جمعاء، فسلامة البيئة من أيدي الناس بعدم التعدي عليها بالتدمير أو التخريب بأي وسيلة كانت، يعد امتثالا لأمر رسول الإنسانية سيدنا محمد ﷺ.

وهذه القيمة السامية من قيم الإسلام في المحافظة على البيئة حال التمسك والعمل بمقتضاها تؤدي إلى حفظ البيئة من بطش الإنسان، الذي ظهر فساده أيما ظهور،

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ، أبواب: الإيمان، باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، (٣١٣/٤/ح ٢٦٢٧)

(٢) أخرجه الشيخان، البخاري كتاب: الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (١١/١/ح١٠)، ومسلم كتاب: الإيمان، باب: باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل،(٦٥/١/ح٤١).

فبطش وتجبر وتعدى وظلم البيئة حينما لم يراع قيم الإسلام السامية في المحافظة عليها، ولكن إذا ما عدَّل الإنسان من سلوكياته غير المقبولة نحو البيئة تغير الحال، وأصبحت البيئة مهيأة للعيش عليها في أمن وأمان، فالله تعالى يحذر من ذلك فيقول: { [الرعد:١١].

رابعا: قيمة المحافظة على جمال البيئة

المحافظة على جمال البيئة قيمة سامية من قيم الإسلام الإيجابية في المحافظة على البيئة؛ انطلاقا من جمال الخالق المبدع الثابت في قوله تعالى: **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ** [البقرة:١١٧]، وفي قوله تعالى: بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الأنعام:١٠١]، وفي حديث النبي ﷺ في قوله: " إن الله جميل يحب الجمال ....."[(١)]، وهي قيمة تختص بتوجيه سلوك الإنسان نحو الإدراك الجمالي لعناصر البيئة من حولنا؛ لنحافظ عليها جميلة نقية كما خلقها الله – جلت قدرته – القائل: صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ [البقرة:١٣٨].

إن استقراء آيات القرآن الكريم يؤكد على عنايته بجمال البيئة، وأهمية المحافظة عليها فيما يخص خلق الإنسان، والسماء، والأرض، وعند دخول المساجد، وخلق الحيوان والنبات، فيقول – تعالى – مبينا جمال خلق الإنسان: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا [الإسراء:٧٠]، ويقول – تعالى- : لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ [التين:٤]، ويقول –تعالى – فيما يخص جمال خلق السماء: إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ [الصافات:٦]، أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان تحريم الكبر وبيانه، (٩١/٩٣/١ح).

فُرُوجٍ [ق:٦]، ويقول – تعالى – فيما يخص جمال خلق الأرض: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ [الحج:٦٣]، ويقول – تعالى –: الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ [طه:٥٣]، ويقول– تعالى _ فيما يخص الجمال عند دخول المساجد: يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ [الأعراف:٣١]، ويقول – تعالى _ فيما يخص جمال خلق الحيوان: وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ [النحل:٨]، ويقول – تعالى _ فيما يخص جمال خلق النبات: وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [الأنعام:٩٩]، ولقد حرصتُ على استقراء هذه الآيات من القرآن الكريم؛ لأدلل على أن الإنسان مطالب – وبقوة – أن يحافظ على جمال البيئة قدر طاقته؛ ليكون مقتديا بربه قدر استطاعته باعتبار ذلك من مكارم الشريعة الإسلامية كما أشار البحث آنفا.

إن التنوع الهائل في أشكال الحياة وأنواعها في البيئة يمكن وضعه في إطار القيم الجمالية، وهنا يشير القرآن الكريم إلى اختلاف النباتات والحيوانات؛ ليؤكد على ما تحتويه الآيات القرآنية من قيم جمالية[١].

ولا يخفي على الجميع أن التمسك بهذه القيمة من قيم الإسلام السامية في المحافظة على البيئة، يؤدي بالعالم أجمع إلى إعادة النظر في التعامل مع البيئة؛ خصوصا إذا ما تمعن في الآيات السابقة الواردة في القرآن الكريم الدالة على أهمية

---

[١] انظر: القيم البيئية من منظور إسلامي، د. محمد أحمد الخضي، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، المجلد التاسع، العدد الثاني ٢٠٠٩م، ص ٨٥.

المحافظة على جمال البيئة نقية، وكما خلقها الله بديع السماوات والأرض، فهل آن للعالم أن يتحرك للحفاظ على جمال البيئة؟!

خامسا: قيمة المحافظة على عناصر البيئة

يختم البحث الحديث عن قيم الإسلام الإيجابية في المحافظة على البيئة، بالوقوف على حرص الإسلام على عناصر البيئة المختلفة، وعدم العبث بمحتوياتها، ومن هذه المحتويات الثمينة في البيئة ما يأتي:

١- المحافظة على الماء وحمايته.

٢- المحافظة على الحيوان والنبات وحمايتهما.

٣- المحافظة على الغلاف الجوي وحمايته.

٤- المحافظة على الطرقات وحمايتها.

٥- المحافظة على الصحة البدنية وحمايها(الحجر الصحي)

٦- المحافظة على الهدوء وعدم الفوضى.

ويلفت البحث النظر فيما يخص هذه القيمة لأمرين:

أحدهما: أن الإنسان – وخصوصا في العصر الحديث، وفي ظل التطور التكنولوجي المذهل، والحروب الخطرة التي يعاني من ويلاتها العالم كله – لم يلتزم منهج الله – تعالى – في المحافظة على البيئة، حيث عُني بمصلحته الخاصة، ولم يتنبه لخطورة الإفساد في البيئة وما لحقها من أضرار جِسام أضرت بالعالم كله من محيطه إلى خليجه، وصدق ربنا إذ يقول: ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [الروم:٤١].

وبناء على ما سبق أصبحت المحافظة على البيئة – بمفرداتها من إفساد الإنسان وتعدياته عليها– مطلبا ملحا وعاجلا، ليس من الرفاهية تركه، بل أصبح من فروض الكفايات التي لا بد للمجتمع الدولي أن يتنبه لها ويضطلع بمهامه حيالها.

والآخر: أن البحث سيقف مع شاهد واحد من القرآن أو السنة فيما يخص قيمة الإسلام في المحافظة على عناصر البيئة ومفرداتها؛ خشية الإطالة.

ففيما يخص المحافظة على البيئة يؤكد البحث ابتداء على أن الماء أهم عناصر البيئة على الإطلاق، وقد عُني القرآن بذكر الماء حيث فهو أساس الحياة، قال تعالى: أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ [الأنبياء:٣٠]، فبما أن الماء أساس الحياة، وجب التأكيد على أن أهميه، وحرص الإسلام على المحافظة عليه من التلوث، أو الإسراف في استعمالاته، قال تعالى: أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ [الأعراف:٣١]، وفيما يخص المحافظة على الحيوان كقيمة من القيم الإسلامية في المحافظة على البيئة نجد قول الله تعالى: وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ [النحل:٨]، وفيما يخص المحافظة على النبات نجد قول الله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ [الحج:٦٣].

كذلك فيما يخص الحفاظ على الغلاف الجوي يقول تعالى: وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ [الأنبياء:٣٢].

ولا يخفى ما في هذه الآية الكريمة من سبق الإسلام في العناية بالحفاظ على الغلاف الجوي من أشعة الشمس الضارة؛ حتى يصل إلينا من أشعتها ما نحتاجه فيما يخص فيتامين (د)، الذي يساعد في منع انتشار مرض الكساح والتشوهات التي تلحق بالعظام لجميع الكائنات الحية، ومنها الإنسان سيد الكون.

وفيما يخص المحافظة على الصحة البدنية نجد قول الله تعالى: **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ**

عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الأعراف:١٥٧].

ويلحق بالصحة البدنية ما نحن في أمسِّ الحاجة إليه فيما يخص الأمراض الخطيرة التي ألمت بالبيئة، ألا وهي قضية الحجر الصحي أو العزل الصحي حيث نجد قول النبي ﷺ: "إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا منها"[(١)].

وأخيرا فيما يخص المحافظة على أهمية الهدوء وعدم الفوضى ودوره في المحافظة على البيئة نجد قول الله تعالى: فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [الأنعام:٩٦].

ويؤكد البحث في النهاية على أهمية النتائج المترتبة على المحافظة على هذه القيمة من قيم الإسلام الإيجابية في المحافظة على البيئة وعناصرها المختلفة التي أشار البحث إلى بعضها، حيث لا يخفى على العالم كله أنه إذا ما اعتنى بتوجيهات الإسلام فيما يخص المحافظة على عناصر البيئة المختلفة فإن هذا – لا شك – سيساهم – وبقوة – في بقاء البيئة نقية نظيفة يسعد فيها الإنسان، ويأمن على نفسه من المخاطر المحدقة ببيئته الخاصة والعامة حالا ومستقبلا.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ البخاري في صحيحه كتاب: الطب، باب: ما يذكر في الطاعون، (١٣٠/٧/ح ٥٧٢٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه بمعناه كتاب: باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها (٤/ ١٧٣٧/ح ٢٢١٨).

المبحث الثالث

المخاطر التي تواجه البيئة ودور الإسلام في مواجهتها

يوجز البحث في هذا المبحث المخاطر التي تواجه البيئة ودور الإسلام في مواجهتها، من منطلق حرص الإسلام على مواجهة تلك المخاطر؛ ليوضح البحث كيف واجه الإسلام تلك المخاطر بمنعها، أو التنبيه على ضرورة تجنبها، وكيف أن مواجهة الإسلام لهذه المخاطر يدفع إلى حماية البيئة من الأضرار.

أولا: الاضرار بعناصر البيئة

أشير ابتداء إلى أن الحديث عن المخاطر التي تواجه البيئة تهدف إلى تبصير العالم كله إلى أن انحراف الإنسان عن القيم الإسلامية في المحافظة على البيئة جعله يتجه مباشرة لوجهة معاكسة، وذلك حينما أضر بعناصر البيئة عموما بداية من الإضرار بنفسه باعتباره العنصر الأهم، ومرورا بعناصر البيئة كلها التي أشار البحث إلى الكثير منها في آخر قيمة تناولها البحث من القيم الإسلامية في المحافظة على عناصر البيئة.

وإذا أخذنا نماذج موجزة لمخاطر إضرار الإنسان بعناصر البيئة يمكن للبحث إيجاز ذلك فيما يلي:

١- إضرار الإنسان بالماء حين لوثه بشتى الملوثات.

٢- إضرار الإنسان بالنبات حين اعتدى على البيئة النباتية بتلويثها بالمبيدات، وتخريبها بالرعي الجائر للأشجار، وكذلك حينما اعتدى عليها بالإبادة أثناء الحروب والنزاعات.

٣- إضرار الإنسان بالغلاف الجوي بتلويث الهواء.

٤- إضرار الإنسان بالطرقات والأماكن العامة.

٥- إضرار الإنسان بالصحة البدنية والنفسية وتعريضها للأخطار.

وإن البحث في هذا المقام ليؤكد على تشديد الإسلام وتحذيره من إلحاق الضرر بعناصر البيئة كلها، وأن من يلحق الضرر ببيئته فإنه محاسب على ذلك في الدنيا

والآخرة؛ انطلاقا من القاعدة الفقهية الأصولية "لا ضرر ولا ضرار"[١] التي هي في الأصل حديث صحيح عن نبي الإسلام سيدنا محمد ﷺ.

وبناء على ما سبق يشير البحث إجمالا إلى تشديد الإسلام فيما يخص المحافظة على عناصر البيئة ومنع التخريب فيها سلما وحربا على السواء.

لقد حرص الإسلام كل الحرص على المحافظة على عناصر البيئة كلها أرضها وسمائها وبحارها وأنهارها وحيوانها وكل من على ظهرها في أوقات السلم والحرب؛ لتظل البيئة مهيئة لخدمة الإنسان، وتكون عونا له على الإبداع والتميز في شتى مناحي الحياة.

يقول الله تبارك وتعالى: **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** [المائدة:٣٣]، ويقول ﷺ: " من قطع سدرة في فلاة صوب الله رأسه في النار "[٢]، وفي ذلك تحذير وتأكيد على حماية البيئة، وعدم الاعتداء على عناصرها.

وعن سعد بن معاذ عن أبيه قال: «غزونا مع النبي ﷺ غزوة كذا وكذا فضيق الناس الطريق، فبعث رسول الله ﷺ فنادى: من ضيق منزلا، أو قطع طريقا فلا جهاد له»[٣].

ومعنى قوله (فلا جهاد له) فيه أنه لا يجوز لأحد تضييق الطريق التي يمر بها الناس، ونفي جهاد من فعل ذلك على طريق المبالغة في الزجر والتنفير، وكذلك لا يجوز تضييق المنازل التي ينزل فيها المجاهدون لما في ذلك من الإضرار بهم[٤].

---

[١] أخرجه ابن ماجة حديث رقم ٧٨٤.

[٢] أخرجه أبو داود في سننه أول كتاب الأدب، باب: في قطع السدر، (٥٢٣/٧/ح ٥٢٣٩).

[٣] مسند الإمام أحمد٤٤٠/٣ رقم (١٥٦٨٦) وصحيح أبي داوود ٣٧٩/٧ رقم (٢٣٦٤) ، وانظر: الشوكاني، نيل الأوطار، مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م حـ٢٣٤/٧.

[٤] انظر: الشوكاني، نيل الأوطار حـ٢٣٦/٧.

إن القنابل العنقودية والأسلحة البيولوجية والكيمائية التي تستخدم في حروب اليوم تلحق بالبيئة وبالإنسان أضرارًا جمة، لا يعلم حد خطورتها على البيئة والإنسان إلا الله تعالى.

إن الهدى النبوي الذي ذكرته منذ قليل فيها إرشاد وتخويف، حيث إرشاد المحاربين إلى عدم تضيق الطرق، ونأخذ من ذلك عدم قطع الجسور، وعدم زرع الألغام في الطرقات، فذلك كله يلحق الضرر بالبيئة والإنسان على حد سواء[١]

إن هذا التحذير النابع من نبي الرحمة بالبيئة يدل على رقة الحروب الإسلامية، وأنه لا يجوز أن تُقطع طريق أو شجرة أو غير ذلك من مظاهر البيئة المحيطة بالإنسان إلا لضرورة ملجئة.

ويؤكد البحث على أن هذا هو تحذير الإسلام من الاعتداء على البيئة أوقات الحروب، ومن ثم فإن التحذير من تخريبها أوقات السلم أوجب.

ثانيا: الإسراف

الإسراف خطر كبير من المخاطر التي تواجه البيئة، فسلوك الإنسان في الإسراف عموما أمر منهي عنه في الدستور الأخلاقي الإسلامي يقول تعالى: **وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** [الأنعام:١٤١]، ويقول تعالى: يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ [الأعراف:٣١]، ولا يخفى على المتدبر للآيتين السابقتين ما فيهما من العلاقة الوثيقة بين عناصر البيئة الواردة في الآيتين والنهي عن الإسراف، ومن ثم ندرك التحذير الإلهي من الإسراف، وخصوصا فيما يخص عناصر البيئة المختلفة.

---

[١] انظر للباحث: قيم الحرب في الإسلام والقانون الدولي الإنساني، ط١، المكتبة الأزهرية للتراث ٢٠٢٠م، ص ١٦٩.

ولقد حذر النبي ﷺ من الإسراف – مثلا – في الماء وهو عصب الحياة – لا شك – ودعانا إلى المحافظة عليه، وعدم الإسراف في استخدامه فقال " لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب " فقال – أي السائب – " كيف يفعل يا أبا هريرة ؟ ، قال: يتناوله تناولا "[١]، وفي هذا النهي عن الاغتسال في الماء الراكد الدائم يحفظ؛ يحفظ الماء من الهدر[٢]، كما حذر النبي ﷺ تحذيرا شديدا من مجاوزة الحد في استخدام الماء فقال: " جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ، يسأله عن الوضوء، فأراه ثلاثا ثلاثا، ثم قال: " هكذا الوضوء، فمن على هذا فقد أساء وتعدى وظلم "[٣].

ويؤكد البحث هنا على أن مواجهة الإسلام لهذا الخطر من المخاطر التي تواجه البيئة يؤدي – بلا شك – إلى حماية البيئة من السلوكيات السلبية في استخدام عناصر البيئة، ومن أهمها الماء الذي يجب علينا الالتزام بمراعاة الصورة المثلى في استخدامه عن طريق التحكم المحكم في كمية الماء المستخدمة خصوصا في ظل التوترات الدولية القائمة حول المياه؛ مما يحتم على الجميع الاضطلاع بمسئولياته تجاه نعمة الماء وجميع نعم الله تعالى على العالم أجمع.

ويختم البحث الحديث عن هذا الخطر الكبير من المخاطر التي تواجه البيئة بالإشارة إلى أن الإسراف في الماء ظلم كبير؛ قد يؤدي في المستقبل إلى حروب

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الطهارة، باب: النهي عن الاغتسال في الماء الراكد (١/ ٢٣٦/ح٢٨٣).

[٢] انظر: المنهج الإسلامي في حماية البيئة، مرجع سابق، ص ٤٨١، حماية الشريعة للبيئة الطبيعية دراسة فقهية مقارنة، د. هناء فهمي، ط مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م، ص ٦٢.

[٣] أخرجه بهذا اللفظ الإمام النسائي في سننه كتاب: الطهارة، الاعتداء في الوضوء، (١/٨٨/ح١٤٠)، وأخرجه أبو دواد في سننه بلفظ مقارب، كتاب: الطهارة، باب: الوضوء ثلاثًا ثلاثًا،(١/٥٩/ح ١٣٥).

طاحنة بين الأمم والدول؛ ولذلك حذر القرآن الكريم من الظلم في مائة وتسعين آية من القرآن الكريم تحذر من هذه الجريمة الكبرى[١]

ثالثا: تلويث البيئة

لا أحد يستطيع أن ينكر أن تلويث البيئة بكل مكوناتها وبجميع أشكال التلوث من المخاطر، التي حركت الأمم والشعوب من أجل السعي قدما للحد من آثار تلويث البيئة؛ ولهذا السبب انعقدت المؤتمرات ولا زالت تنعقد حتى الآن.

ولا شك أن الدولة المصرية الحديثة بمؤسساتها المتميزة[٢] قدمت ولا تزال تقدم الجهود المتميزة للمحافظة على البيئة من التلوث؛ إيمانا منها بالدور الريادي لها في منطقة الشرق الأوسط وإفريقيا، كما أنها تتطلع لدور ريادي عالمي مستحق فيما يخص قضيتي البيئة والمُناخ، وهما قضيتان مترابطتان حيث إن خلو البيئة من التلوث بكل أشكاله يؤدي – حتما – لتحسن المُناخ على في بلدان المعمورة كلها.

وهذا الخطر الكبير من المخاطر التي تواجه البيئة يثبت بما لا يدع مجالا للشك تعدي الإنسان – وبصورة غير مقبولة – على مفردات البيئة من الأربعة: الإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد؛ ظنا منه أنها مفردات ميتة لا تحس ولا تدرك، والحقيقة أنها جميعا تعبد الله وتسبح له قال تعالى: تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (الإسراء: ٤٤)

---

[١] .انظر: آداب وقيم، فضيلة الإمام الأكبر أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف، هدية مجلة الأزهر، ذو الحجة ١٤٤٢هـ = أغسطس ٢٠٢١م، ص ١٧٧، ١٨٠.

[٢] يعتبر الأزهر الشريف من المؤسسات المتميزة، والتي سيقف البحث على جهودها الطيبة في حماية البيئة بشيء من التفصيل في المبحث التالي بعنوان: جهود الدولة المصرية والأزهر الشريف في حماية البيئة.

وعلى سبيل المثال لا الحصر يقف البحث على تلويث الإنسان للماء، وكيف حذر الإسلام من خطورة تلويث الماء كخطر كبير من المخاطر التي تواجه.

ومن المعلوم أن تلويث الماء يؤدي إلى مخاطر جسيمة، وأضرار بالغة، حيث أمر رسولنا الكريم ﷺ بمنع تلويث الماء، وذلك بنهيه عن البول في الماء الراكد فقال: " لا يبولن أحدكم في الماء الراكد "[١]، وفي ذلك تأكيد على إتلاف البول للماء، وإلحاق الضرر بمن يستخدمه بعد تعرضه للإتلاف.

وبناء على ماء سبق، فإن تلويث المياه النقية الصالحة، من الأمور المحرمة في شرع الله، ويجب بالمقابل العمل الجاد على الإبقاء على المياه صالحة غير ملوثة، وما ورد في الحديث السابق لا يعني جواز البول في الماء الجاري، وإنما هو زيادة عناية واهتمام بالماء الراكد الساكن، حيث إن البول فيه أشد خطرا، وأكثر ضررا[٢]).

والبحث يؤكد على أن مواجهة الإسلام لهذا الخطر الكبير من المخاطر التي تواجه البيئة، له نتائج طيبة في توجيه الأمم والشعوب إلى المحافظة على عناصر البيئة كلها بعدم الإسراف فيها، أو استنزافها بصور غير مقبولة، وذلك عن طريق ترشيد استهلاكها في إطار قول الله تعالى: يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ [الأعراف:٣١].

وهنا يجب التنويه إلى أن منظمة الصحة العالمية تؤكد على أن أربعة أخماس الأمراض التي تصيب الناس عن طريق الماء الملوث، وأنه بتوفير الماء النقي وحمايته من التلوث سيتم القضاء على خمسين بالمائة من الأمراض الخطيرة.

وإذا كان النبي ﷺ نهى عن طرق تلويث الماء الشائعة في زمانه فإن طرق تلويثه اليوم صارت مستحدثة، وأشد فتكا وضررا، ومتسارعة بتسارع الحضارة الحديثة، بل

---

[١] رواه ابن ماجة في سننه، حديث رقم ٣٣٧.

[٢] انظر: النهج الإسلامي في حماية البيئة، مرجع سابق، ص ٤٧٨، ٤٧٩.

صارت الموارد المائية من أسهل السبل، وأقلها تكلفة لصرف الفضلات سواء من البيوت أم من المصانع، وأصبحت الكائنات المائية مهددة بالزوال نتيجة لهذا التصرف غير المسئول[١]

وأكتفي هنا بالحديث عن هذه المخاطر الثلاثة من المخاطر التي تواجه البيئة؛ خشية الإطالة موضحا أن هناك الكثير من المخاطر تحتاج لمزيد من الدراسة مثل: التعدي على الطرقات، وكذلك التعدي على الحيوانات، وغير ذلك من التعديات التي يأتي في مقدمتها تعدي الإنسان على أخيه الإنسان بقصد، أو بغير قصد؛ مما يعتبر ناقوس خطر يهدد العالم بأسره؛ ومن ثم تظهر الحاجة لقيم الإسلام بل والأديان عموما، وهذا ما أكد عليه فضيلة الإمام الأكبر في توصيته بمؤتمر تغير المُناخ ديسمبر ٢٠٢١م فيما يخص التعويل على ما وقَّع عليه قادة الأديان في أكتوبر ٢٠٢١م حول العناية بالتأثير المعنوي في التوعية بالتحديات البيئية والصحية كحل من الحلول المقترحة أمام العالم أجمع، وبقي التأكيد من خلال هذه الدراسة على سبق الإسلام وعنايته بقضايا الإنسانية كلها، ومن أهم تلك القضايا، حماية الإنسانية من بطش الإنسانية، فهل من مجيب؟

---

[١] .انظر: فلسفة الإسلام في المحافظة على البيئة كحق من حقوق الإنسان، د. محمد رشيد بوغزالة، مجلة الدراسات الفقهية والقضائية، مجلد ١، عدد ٢، ٢٠١٥م، ص ٢٨، ٢٩.

المبحث الرابع

دور الدولة الحديثة ومؤسسة الأزهر الشريف في المحافظة على البيئة[١]

يؤكد البحث ابتداء في هذا المبحث على الدور المتميز للدولة المصرية الحديثة، ومؤسسة الأزهر الشريف والعديد من مؤسسات المصرية في التصدي للمخاطر التي يعاني العالم بأسره من ويلاتها، ومن أهم تلك المخاطر التغيرات المُناخية وما لها من تأثيرات سلبية على البيئة بمفرداتها الأربعة: الإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد.

ونظرا لأهمية تغير المُناخ على الصعيد العالمي فإن الدولة المصرية الحديثة خطت خطوات عملية؛ رغبة منها في المساهمة الواقعية في تغيير المُناخ، وقد ظهر ذلك جليا في وفاء مصر بالتزاماتها وتعهداتها، وذلك حينما أبدت مصر استعدادها لتنفيذ التزاماتها تجاه اتفاقية باريس ١٢ ديسمبر ٢٠١٥م، وتم وضع الاستراتيجية الوطنية لتغير المُناخ في مصر ٢٠٥٠م، ووضعت من خلال هذه الاستراتيجية مجموعة من الأهداف المدروسة تسعي لتحقيقها على أرض الواقع، وتتلخص هذه الأهداف في النقاط الآتية:

١- تحقيق نمو اقتصادي مستدام ومنخفض الانبعاثات في مختلف القطاعات.

٢- بناء المرونة والقدرة على التكيف مع تغير المُناخ.

٣- تحسين حوكمة وإدارة العمل في مجال تغير المُناخ.

٤- تحسين البنية التحتية لتمويل الأنشطة المُناخية.

٥- تعزيز البحث العلمي ونقل التكنولوجيا وإدارة المعرفة والوعي لمكافحة تغير المُناخ.[٢]

---

[١] أشرت من قبل في بداية الدراسة أنني سأوجز دور الدولة المصرية الحديثة والأزهر الشريف في المحافظة على البيئة عبر فيديو مختصر على قرص مدمج، والله الموفق والمستعان.

[٢] انظر تفصيلا لهذه الأهداف: الاستراتيجية الوطنية لتغيير المُناخ في مصر، إعداد انتجرال كونسلت، مكتب القاهرة، أكتوبر ٢٠٢١م، من ص ٢٩: ٥١، وهذه الاهداف مجتمعة حال تطبيقها

والدارس لتاريخ الأزهر الشريف قديما وحديثا يدرك بما لا يدع مجالا للشك أنه مؤسسة واعية دائما ما يكون لها الحضور المميز والمتميز في مساندة الدولة المصرية على كافة المحاور والقضايا والأزمات العالمية، ومنها قضية المُناخ أو التغيرات المُناخية، وأهمية الدعوة إلى أن يكون للأديان ورجالاتها الدور الروحي المؤثر في نشر الوعي الديني – في الأوساط كافة – بالتحديات البيئية التي تواجه العالم في الوقت الراهن.

والبحث يقصد الجمع بين دور الدولة والأزهر الشريف في مبحث واحد؛ تأكيدا – كما أشرت سابقا– على التنسيق المتميز بين الدولة المصرية الحديثة والأزهر الشريف، ويتأكد لنا ذلك بإيجاز في النقاط الأتية:

أولا: ما استحضره فضيلة الإمام الأكبر أ د. أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف – حفظه الله ورعاه – في مؤتمر جامعة الأزهر المشار إليه آنفا من كلمة الشيخ المراغي – رحمه الله – التي أرسل بها إلى أول مؤتمر للأديان، والذي عقد بلندن ١٩٣٦م، والتي أكد فيها على دور الدين في حماية العالم من السقوط الحضاري، وأنه لا مخرج للعالم مما هو فيه الآن من أزمات إلا بالعودة إلى الدين الصحيح؛ ليصل إلى مرفأ السلام المنشود، ومن ذلك – قطعا – سلام البيئة مما تعاني منه في عالمنا المعاصر.

ثانيا: مشاركة فضيلة الإمام الأكبر أد. أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف في مؤتمر الفاتيكان ٤ أكتوبر ٢٠٢١م، والذي عقد تحت عنوان " الإيمان والعلم "، والذي أكد فيه فضيلته في كلمته على أهمية الدور الروحي للأديان فيما يخص توعية الناس بمخاطر التغيرات المُناخية وآثارها المدمرة على البيئة بشتى مفرداتها، وقد كان هذا المؤتمر تمهيدا وتنسيقا لعقد قمة الأمم المتحدة بإسكتلندا في دورتها السادسة والعشرين حول المُناخ نوفمبر ٢٠٢١م.

ستؤثر إيجابا على الاقتصاد المصري، ومن ثم تحسين مستوى المعيشة، وتحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة المطلوبة.

ثالثا: يتأكد للبحث التدرج في التنسيق بين الدولة المصرية الحديثة والأزهر الشريف فيما يخص قضية المُناخ والبيئة حيث شاركت مصر في قمة الأمم المتحدة السادسة والعشرين على أعلى مستوى، وكان ذلك بمشاركة السيد الرئيس عبد الفتاح السيسي في القمة وأكد على ضرورة أن يسعى العالم كله للتعامل الجاد مع مخاطر التغيرات المُناخية والحد منها، وأن مصر سوف تسعى من خلال رئاستها للقمة السابعة والعشرين للأمم المتحدة، والتي ستعقد بمدينة شرم الشيخ نوفمبر ٢٠٢٢م إلى الحد من تلك المخاطر بخطوات ملموسة على أرض الواقع.

رابعا: تستعد الدولة المصرية – الآن – للقمة المشار إليها، فكان مؤتمر الأزهر الشريف، والذي عقد تحت رعاية السيد رئيس الجمهورية وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف أكتوبر ٢٠٢١م؛ والذي أكد على أحقية مصر في ريادتها المستحقة للعالم فيما يخص كافة القضايا، ومنها قضية التغيرات المُناخية وما لها من تأثيرات سلبية على الإنسان والبيئة.

خامسا: تستعد – الآن – المؤسسة المصرية للاستثمار والابتكار والتنمية الصناعية لعقد مؤتمر حول "الاستراتيجيات العربية للحد من مخاطر التغيرات المُناخية" أكتوبر ٢٠٢٢م، وذلك برعاية مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، وفي ذلك – أيضا – حضور مميز لمؤسسة الأزهر الشريف؛ مما يعد تمهيدا وتحضيرا لعقد قمة الأمم المتحدة السابعة والعشرين بشرم الشيخ نوفمبر ٢٠٢٢م.

وفي النهاية يأمل البحث أن يستمر هذا التنسيق المتميز بين مؤسسات الدولة المصرية الحديثة؛ من أجل أن تتبوأ مصر مكانتها في ريادة العالم، وخصوصا الدول النامية؛ لتصل إلى مرفأ السلام الذي نبه إليه، وأكد عليه الأزهر الشريف منذ عقود بعيدة، ولا زال ينبه إليه، ويؤكد عليه إلى يوم الناس هذا.

حفظ الله مصر

حفظ الله الأزهر الشريف

النتائج والتوصيات

أولا: النتائج:

١- الدين عموما والقيم والأخلاقيات خصوصا طوق النجاة لما يعانيه العالم من مشكلات وأزمات، ومنها مشكلة تغير المُناخ وأثرها على البيئة.

٢- الدولة المصرية الحديثة لا تألو جهدا في السعي لتحمل مسئولياتها الإقليمية والدولية، وتقدم الاستراتيجات الدقيقة لتغير المُناخ لفترات مستقبلية حتى ٢٠٥٠م.

٣- الأزهر الشريف مؤسسة كبرى من مؤسسات الدولة المصرية الواعية بقضايا الأمة وأزماتها ولها دورها المحوري في المشاركة الفعالة في حل المشكلات والأزمات الداخلية والخارجية على مر العصور والدهور.

ثانيا: التوصيات:

إن كان للبحث من توصيات

١- الدعوة إلى أهمية التكاتف والتعاون المنظم بين مؤسسات الدولة المصرية الحديثة؛ لتحقيق أهداف الاستراتيجية الوطنية لتغير المُناخ في مصر ٢٠٥٠م.

٢- التأكيد على الدور المنشود لقادة الأديان في توعية الأمم والشعوب بمخاطر التحديات التي تواجه البيئة والصحة في كل بلدان العالم؛ نظرا لما يتمتعون به من تأثير روحي في الأوساط كافة.

٣- دعوة مؤسسات المجتمع المدني للقيام بمهامها المنوطة بها حيال أزمة تغير المُناخ، وذلك من خلال عقد الندوات والمحاضرات التثقيفية من أجل توعية الأفراد بدورهم تجاه أزمة تغير المُناخ.

المصادر والمراجع

- آداب وقيم، فضيلة الإمام الأكبر أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف، هدية مجلة الأزهر، ذو الحجة ١٤٤٢هـ = أغسطس ٢٠٢١م
- الإعلام وقضايا البيئة، كرم علي حافظ، الطبعة الأولى بدون تاريخ.
- الاستراتيجية الوطنية لتغيير المُناخ في مصر، إعداد انتجرال كونسلت، مكتب القاهرة، المعادي، أكتوبر ٢٠٢١م
- حماية الشريعة للبيئة الطبيعية دراسة فقهية مقارنة، د. هناء فهمي، ط مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة
- الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني، تحقيق د. أبو اليزيد العجمي، ط١ دار الصحوة بالقاهرة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
- سنن ابن ماجة، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠-٢٠٠٩م.
- صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢م.
- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- فلسفة الإسلام في المحافظة على البيئة كحق من حقوق الإنسان، د. محمد رشيد بوغزالة، مجلة الدراسات الفقهية والقضائية، مجلد ١، عدد ٢، ٢٠١٥م.
- القاموس المحيط، للفيروزبادي، ط مؤسسة الرسالة ١٩٨٧.
- القيم البيئية من منظور إسلامي، د. محمد أحمد الخضي، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، المجلد التاسع، العدد الثاني ٢٠٠٩م

- قيم الحرب في الإسلام والقانون الدولي الإنساني، د. أحمد حمدي، ط١ المكتبة الأزهرية للتراث ٢٠٢٠م..
- لسان العرب، لابن منظور، جـ ٥، ط دار المعارف، بدون تاريخ.
- المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية.
- مقومات الإسلام، فضيلة الإمام الأكبر أ د. أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف، ط مجلة الأزهر الشريف شوال ١٤٤٢هـ = يونيه ٢٠٢١م
- موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د.مرزوق بن صنيتان، ط ١دار رواح.
- النهج الإسلامي في حماية البيئة، د. محمد عبد محمود الصاحب، الجامعة الأردنية، مكتبة المهتدين الإسلامية، بدون تاريخ..